عظة الحاضر من الماضي! – د. جهاد نعمان

في عصور بائدة، شهدت جميع الطوائف في عاصمة العباسيين، أمنا ورخاء وطمأنينة وراحة بال، حتى ان كثيرين من العلماء كانوا يهربون من الامبراطورية البيزنطية نفسها الى بغداد دار السلام، ليقيموا شعائر دينهم وليبحثوا البحث العلمي الحر الجريء. اجل، لست بقائل ان جميع المناسبات بين العلماء تجلت من باب الصداقة، فهناك ايضا بجانبها مناسبات التحاسد والشحناء كما نلمس ذلك بين بطلين من ابطال المدنية العربية، احدهما يدعى ابن بطلان البغدادي النصراني، والثاني ابن رضوان المصري المسلم. واذا درسنا جميع المناقشات التي دارت بينهما، رغم انها تتعدى في بعض الاحيان حدود النقد العلمي النزيه، نجد ان التعصب ضد طائفة من الطوائف لم يمل ذاك الجدال الحاد، بل املته عليهما منافسة المهنة الطبيعية. اما الاضطهاد في سبيل المعتقد الذي لم يبرأ منه العهد العباسي الزاهر ايضا، فله في زعمي المنحى السياسي اكثر من المنحى الديني، واكثر ما حدث في الزنادقة المانويين! هكذا كان اجدادنا في غابر الازمان، وما أحرانا ان نقتبس من روح تآخيهم، لتكون لنا نورا نهتدي به. اذا قابلنا بين همتنا وهمتهم، وجهودنا وجهودهم، وتشجيع العلماء في عهدهم وكسر الهمة في عهدنا، وتعاون الطوائف لمتابعة سير المدنية عندنا وعندهم، لرأينا البون شاسعا جدا. الامم تتقدم، اما نحن فنتأخر، ومن يريد الحياة ومجاراة الرقي، عليه ان يتقدم لا ان يتأخر.

هل تبرز بوادر امل، عبر وزارات فعلية عابرة للطوائف والقبائل ،تقوم بالإصلاح التربوي-الثقافي المنشود؟ هل يلوح الشفق الاحمر في افقنا المسدود، بهمة رجال رجال-ولا نستثني منهم أخوات الرجال!- فتعقب هذا الشفق شمس ساطعة؟ لنعلم، مع ذلك، ان كثيرا مما ربحه العالم بالعقل، لا يوازي ما خسره بسببه ايضا. فلنروحن العقل إذا!

د. جهاد نعمان ، جبيل، حارة المرجان

استاذ في المعهد العالي للدكتوراه

٣ نيسان ٢٠٢٣